

زدته حُباً أراني عَجَباً

سَحَرًا قَمْتُ كَسُولًا تَعِبَا
رَحْتُ أَسْتَعْرِضُ يَوْمِي خَائِفًا
فَتَحَامَلْتُ أَصْلِي زُلْفِي
أَلْفِظُ الْقَوْلَ وَلَا أَفْصِحُهُ
لَاخَ فِي بَالِي ظِلٌّ عَاتِبٌ
وَتَلَمَّسْتُ بَقَلْبِي لَمْ أَجِدْ
كَادَ يَجْفُونِي وَأَحْسَسْتُ
أَبْرَبَ الْكُونِ مَعَ آلَائِهِ
رَافِعًا إِيَّاكَ فِي عِرْفَانِهِ
فَجَاءَ أَلْفَيْتِي فِي شُرْفَتِي
وَبَدَتْ تُخْفِتُ مِنْ أَضْوَائِهَا
وَإِذَا عَافَيْتِي كَامِلَةً
هَكَذَا رَبِّي تَعَالَى كَلَّمَا
قَلْتُ ذَنْبًا عَلَنِي مُرْتَكِبًا⁽¹⁾
مَعَ لَيْلِي ، لَمْ أَجِدْ مَا أَوْجَبَا
كَلَّمَا قَمْتُ مَسَكْتُ
دَهْشًا مِنْ حَالَتِي مُضْطَرِبًا⁽³⁾
وَلَقَدْ أَخْجَلَنِي أَنْ أَعْتَبَا⁽⁴⁾
غَيْرَ حَبِي مَزْهَرًا مُسْتَعَذِبَا
عَاتِبًا يُلْقِي عَلَيَّ الْعَتَبَا⁽⁵⁾
مَنْ يَجَلِّي فِيكَ نَوْرًا مَا
مَعَهُ كِدَتْ تُسِيءُ الْأَدْبَا⁽⁷⁾
وَالسَّمَا تَضْحَكُ لَيْلًا ذَهَبًا⁽⁸⁾
هَيْبَةً فَالْفَجْرُ مِنْهَا اقْتَرِبَا⁽⁹⁾
فَوْقَ مَشْبِي رَاغِبٌ أَنْ أَثْبَا
زِدْتُهُ حُبًّا أَرَانِي عَجَبَا

(1) السَّحَرُ بَيْنَ الْفَجْرِ وَمُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، وَفِي هَكَذَا حَالٌ لَا بَدَّ مِنْ سَبَبِ
فَقَلْتُ لَعَنِي مُرْتَكِبٌ ذَنْبًا مَا .

(2) الزَّلْفُ : جَمْعُ زَلْفَةٍ وَهِيَ مَا يَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعِبَادَاتِ .
وَمَسَكْتُ الرُّكْبَا : أَيِ أَمْسَكْتُ رُكْبَتِي لِئَلَّا أَسْقَطَ مِنْ شِدَّةِ تَعَبِي .

(3) حَتَّى كَلَامِي أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْطِقَهُ فَصِيحًا . وَالْفَصَاحَةُ هِيَ النُّطْقُ السَّلِيمُ وَإِخْرَاجُ الْحُرُوفِ
مِنْ مَخَارِجِهَا الصَّحِيحَةِ .

- (4) ظلّ عاتبٌ : أي عتب طفيف ولكنني خجلت أن أعتب .
- (5) كاد يجفوني : أي قلبي هو عتب عليّ لأنه خطر ببالي أن أعتب علي من تنزه عن أن يظلم ولو مقدار جناح بعوضة أو جزيئاً من ذرة مما خلق ، فكيف ظننتُ به ظنّ السوء ، أي أن يعاقب دون معصية . بل لا بدّ أنه الإبتلاء والدرس والتعليم فله الحمد وله المجد . وهكذا تفضل عليّ سبحانه كعادته وألهمني أن ألوم نفسي وأناقشها كما في بقية القصيدة .
- (6) آلائه : نعمه . يجليّ فيك : يظهر فيك الأدنى فالأعلى من أصناف نوره سبحانه . وما خبا : أي لم يقلّ ولم ينطفئ .
- (7) في عرفانه : أي في معرفته جلّ وعلا .
- (8) ألفتني : وجدتني . وليلاً ذهباً : أي أدبر .
- (9) تخفت : تغض من أضوائها تهيباً من اقتراب الفجر .